الرد على المتصوفة الخرافيين القائلين بعرض الأعمال على رسولنا الكريم والتوصل بذلك لدعائه والاستغاثة به دون رب العالمين

بقلم:

عرفات بن حسن المحمدي

الحمدلله،

خصَّ الله تعالى نبينا ﷺ دون أمته فجعل صلاتهم عليه، معروضة عليه ﷺ في قبره، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ)) ([1]).

وجاء أيضًا في حديث أوس بن أوس رضي الله عنه، وفيه قال ﷺ: ((...فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاة فِيهِ —يعني يوم الجمعة–؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)) ([2])، وجاء أيضًا عنه أنه قال ﷺ: ((وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ)) ([3]).

فهذه النصوص النبوية تدلّ على أنَّ النَّبي ﷺ وهو في قبره، تصله هذه الصَّلاة، فتعرض عليه صلاة أمته عليه، فهذا من خصائصه، وذكر العلماء أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه ﷺ وذكره عنده، وكفى بالعبد نبلاً أنْ يُذكر اسمه بالخير بين يدي رسول الله ﷺ ([4]).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَ يْهِ السَّلَامَ))([5]).

وليس المراد أنَّ النَّبي ﷺ هو الذي يسمع ذلك من المصلي نفسه، بل الملائكة هي التي تبلِّغه، وأبطل من ذلك القول بأن صوت المصلي يصل إلى النَّبي ﷺ.

---

1 - صحيح.
أخرجه ابن المبارك في مسنده (51)، وعبد الرزاق (3116)، وابن أبي شيبة (8705)، وأحمد (3666)، والدرامي (2816)، والقاضي في فضل الصلاة (21)، وابن أبي عاصم (28)، والنسائي (1282)، والبزار (1924)، والشاشي (826)، وأبو يعلى (5213)، وابن حبان (914)، والطبراني (219/10) (10582)، والحاكم (456/2)، والبيهقي في الدعوات (179)، والبغوي في شرح السنة (687).

2 - صحيح.
أخرجه ابن أبي شيبة (8697)، وأحمد (16162)، والدارمي (1613)، وأبو داود (1047) (1531)، وابن ماجه (1085)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (1577)، والمروزي في الجمعة (13)، والنسائي (1374)، والبزار (3485)، وابن خزيمة (1733)، والطبراني (216/1) (589)، والحاكم (413/1)، والبيهقي (353/3).

3 - صحيح.
أخرجه أحمد (8804)، وأبو داود (2042)، والطبراني في الأوسط (8030)، والبيهقي في حياة الأنبياء (14). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه عبد الرزاق (4839)، وابن أبي عاصم في فضل الصلاة (27)، والطبراني (82/3) (2729). من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما.
وأخرجه ابن أبي شيبة (7542)، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وله طرق أخرى مرسلة.

4 - انظر: جلاء الأفهام (453).

5 - حسن.
أخرجه إسحاق في مسنده (526)، وأحمد (8805)، وأبو داود (2041)، والطبراني في الأوسط (3092)، والبيهقي (402/5).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فالقول إنه يسمع ذلك من نفس المصلّي باطل، وإنّما في الأحاديث المعروفة أنه يُبَلَّغ ذلك ويُعرض عليه، وكذلك السلام تبلّغه إياه الملائكة. وقول القائل: إنه يسمع الصلاة من البعيد ممتنع، فإنه إن أراد وصول صوت المصلّي إليه فهذه مكابرة، وإن أراد أنه هو يكون بحيث يسمع أصوات الخلائق من بعيد، فليس هذا إلا لله رب العالمين الذي يسمع أصوات العباد كلهم. قال تعالى: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ [الزخرف: 80] وقال: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ [المجادلة: 7] الآية. وليس أحد من البشر بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم، ومن قال هذا في بشر فقوله من جنس قول النصارى الذين يقولون إن المسيح هو الله، وإنه يعلم ما يفعله العباد ويسمع أصواتهم ويجيب دعاءهم) ([6]).

فظهر أنَّ الملائكة هي التي تبلغه ﷺ السلام عن أمته، وأنبه إلى أنَّ في بعض روايات الحديث زيادة منكرة لا تصح، وهي قوله: ((ووَفَاتِي خَيْرًا لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ)).

وهل الأعمال تعرض على النَّبي ﷺ وهو في قبره؟

الجواب:

هذه الزِّيادة جاءت عند البزَّار ([7]) من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد، وقد ضعَّفه أقوام، وتكلموا في حفظه، والذين وثَّقوه إنَّما هم قليل، ومع ذلك هو من الدُّعاة إلى بدعة الإرجاء المذمومة، فليس هو بالحافظ، ولا بالمتقن حتى تقبل هذه الزِّيادة، فكيف إذا علمنا أن هذه الزِّيادة منكرة المتن -كما سيأتي- وقد جاء من حديث أنس رضي الله عنه أيضًا عند ابن عدي ([8]) وفي إسناده كذَّابان، وأصحّ ما جاء هو مرسل من مراسيل بكر بن عبدالله المزني -وهو تابعي- والمرسل من أقسام الضَّعيف، والذين استدلوا بهذه الزِّيادة إنَّما هم أهل البدع والضلال من الخُرافيين كالرَّافضة والصُّوفية، كابن حجر الهيتمي، ودحلان الصُّوفي، وابن جرجيس،

6 - الإخنائية (146-147).
7 - (1925).
8 - في الكامل (533/3). وأخرجه ابن المخلص كما في المخلصيات (2412).

والنبهاني، والغماري، وعلوي المالكي، ومن كان على شاكلتهم، بل إنَّ محمد الغماري صنف مصنفًا هزيلاً أسماه: (نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال)([9]).

والخاصية التي يثبتها أهل السنة، إنَّما هي صلاة من يصلي عليه، فهي التي تعرض على النَّبي ﷺ استدلالاً بقوله ﷺ: ((إِنَّ لله مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ)).

وليت هؤلاء الخرافيون اقتصروا على القول بعرض الأعمال فقط، بل جوزوا التَّوسل برسول الله ﷺ وجوزوا دعاءه، وطلب الشَّفاعة منه؛ بحجة أنَّ الأعمال تعرض عليه، وهذا ما صرحوا به.

قال الصوفي محمد بن علوي المالكي:

(وَهو يَدِلُّ عَلَى أَنْ النَّبِيّ ﷺ يعْلمُ أعْمَالَنَا بِعَرْضِهَا عَلَيه، وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ لَنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا مِنْ سَيءٍ وَقَبِيح. وَإذا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّه يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى اللهُ وَنَتَشْفِعُ بِهِ لديه لِأَنَّه يَعْلَمُ بِذَلِك فَيُشَفَّع فِينَا وَيَدْعُو لَنَا...)([10]).

فالمسألة ليست محصورة في أنه تُعرض عليه الأعمال وكفى، بل يستدلون هؤلاء الضُّلال بأنه يجوز التَّوسل به، ولك أن تأتي إلى قبره، وتطلب الشَّفاعة منه ﷺ.

وأهل السُّنة يعتقدون أنَّ الذي تعرض عليه الأعمال هو الله –سبحانه وتعالى– ففي حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أنَّ النَّبي ﷺ قال: ((تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا، أَوِ ارْكُوا، هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا)) ([11]).

وجاء أيضًا أنَّ النَّبي –صلى الله عليه وسلم– سأله أسامة بن زيد –رضي الله عنه– عن صوم الاثنين والخميس، فقال: ((ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)) ([12]). وهذا يؤكد أن الأعمال إنَّما تعرض على ربّ العالمين.

9 - طبع في مصر في مكتبة القاهرة 1427هـ، 2006م، وكتب على غلافه: (سلسلة السادة الغمارية).

10 - مفاهيم يجب أن تُصحَّح ص (256). طبعته دار الكتب العلمية، 1430هـ، 2009م، بيروت.

11 - أخرجه مسلم (2565).

12 - صحيح.

والخرافي الصوفي عبد الله الغُماري حين قدَّم لأخيه هذه الرِّسالة تعرّض للشيخ الألباني، وطعن فيه، وأنّه لم يسلك مسلك الصِّناعة الحديثية في تضعيف هذا الحديث!

قلت: رمتني بدائها وانسلت.

فهؤلاء الخرافيون لم يقصروا عرض الأعمال على النَّبي ﷺ، بل إنّهم يرون أنّ هناك من الموتى من قد تُعرض عليهم الأعمال، كالروافض الذين يُصرّحون بأنّ الأعمال تُعرض على أئمتهم، وقد تكفّل علماء أهل السُنّة بالرد على هؤلاء، -ومنهم أئمة الدَّعوة- ومن أقوى ما استدل به أهل السنة أيضًا ما جاء في الصَّحيحين أنّ النَّبي ﷺ قال: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"([13]).

فلو كانت تُعرض عليه الأعمال، ويعرف ما يفعل العباد والنَّاس، لمَ احتاج إلى أن يسأل، ولا قالت له الملائكة ما قالت، بل إنه ﷺ لما علم من الملائكة أنّهم بدّلوا، وقالت له الملائكة: ((إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فقال: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي)).

فلو كانت أعمالهم تُعرض على النَّبي ﷺ في قبره ما قال هذا الكلام ساعتئذ، بل قال: ((سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي)).

واضطرب محمد الغماري في الجواب على هذا الحديث أيما اضطراب!

وأشد منه أخوه الذي قدم للكتاب بمقدمة مظلمة فاجرة صـ (3-4)، نال فيها من خال المؤمنين وأميرهم كاتب الوحي معاوية رضي الله عنه، ونال أيضًا من إمام الحديث في زمنه الإمام الألباني رحمه الله، وزعم هذا المخلوق العجيب أن النبي ﷺ يعلم ما أحدثوا بعده، لأن الأعمال تعرض عليه في قبره، لكنه تظاهر بأنه لا يعلم، فتغاضى عن ذلك شفقة ورحمة منه !

فعنده أنّ النَّبي ﷺ كان يطمع أنّ الله يرحم هؤلاء، فلمّا نهاه ربه كفّ عن ذلك، !!

أخرجه أحمد (21753)، والنسائي (2358)، والبزار (2617)، والطحاوي في شرح المعاني (82/2)، وأبو نعيم في الحلية (18/9)، والبيهقي في الشعب (353/5).

13 - أخرجه البخاري (7049)، ومسلم (2297) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ثم إنَّ هذا المأفون جزم بأن حديث الحوض في معاوية وأصحابه؛ لأنهم حاربوا الإمام علي وخرجوا عليه، وفعلوا الأفاعيل!! كذا قال عامله الله بعدله. كما في صـ (4).

وأما المؤلف نفسه محمد الغماري، فمرة يقول: (أعمالهم عرضت عليه، وإلا لما عرف ذلك منهم)!! كما في صـ (10).

قلت: الملائكة تقول: ((إِنَّكَ لَا تَدْرِي))، والغُماريان يقولان: "بل كان يدري".

فلماذا قال النَّبي ﷺ: ((أُمَّتِي أُمَّتِي))، إذا كان يدري؟

وتارة يقول: (حديث الحوض خاص، وحديث عرض الأعمال عام، فيكون أولهما مخصصًا لثانيهما). كما في صـ (22).

قلت: بل حديث الحوض نصٌّ في النزاع، وهو من أحاديث الصحيحين المتواترة، وحديث عرض الأعمال منكر المتن والسند، فلا تعارض.

وتارة يقول عن حديث الحوض المتواتر: (فالحديث كما ترى مشكل جدًا)!! كما في صـ (24).

قلت: على أمثالك من الخرافيين يكون مشكلاً، أما السلف وأتباعهم فلا وألف لا.

فانظروا كيف البدع تجر بدعًا، وتجر سوءًا، وتجر فضائح، فهؤلاء يطعنون في سُنّة النَّبي صلى الله عليه وسلم ويردونها بأهوائهم، ويردون الحق بأحاديث مُنكَرة ضعيفة، كل ذلك في سبيل أن يجوزوا دعاء النَّبي في قبره، والاستشفاع به، والتوسُّل به، كل هذا يُخالف التَّوحيد الذي جاءت به الأنبياء ﷺ إذًا عرفنا الآن أنّ هذه الزِّيادة، وهي قوله: ((ووَفَاتِي خَيْرًا لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ)) زيادةٌ مُنكرة في الإسناد وفي المتن.

ومن العجائب أنه عقد عنوانًا في كتابه فقال: (القرآن يؤيد الحديث). كما في صـ (9).

واستدل بقول تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء:41].

ثم قال: (أخبر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أنَّ النبي ﷺ، يأتي يوم القيامة شهيدا، على أمته، وذلك يقتضي أن تعرض أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى).

كذا قال !

أقول: بل لا يقتضي ذلك، وهذا الاقتضاء من كيسك وفهمك الملوث.

فالمراد بشهادته عليه الصلاة والسلام يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك، فأمته تشهد على الأمم، وهو يشهد على أمته، ففي حديث أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالوَسَطُ العَدْلُ" ([14]).

قال ابن كثير –رحمه الله-: (والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك.) ([15]).

والعلم عند الله تعالى وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هداه إلى يوم الدين.

كتبه: عرفات بن حسن المحمديّ

المدينة النبوية: الأحد 19 ربيع الأول 1438

14 - أخرجه البخاري (3339).

15 - تفسيره القرآن العظيم (457/5).